الإستراتيجية الأمريكية الكبرى: إرث أوباما في الشرق الأوسط

American Grand Strategy: Obama's Middle East Legacy

تأليف: جاغتاي أوزدمير
Çağatay Özdemir

عرض: حمزة يورتري - Reviewed by Hamza Yurteri

يتناول كتاب جاغتاي أوزدمير (الإستراتيجية الأمريكية الكبرى: إرث أوباما في الشرق الأوسط) الأسباب الكامنة وراء تفضيل التخفيض بوصفه إستراتيجية كبرى في عهد أوباما. يوفّر أوزدمير إطارًا من الأفكار حول السياسة الداخلية الأمريكية، ويتحرّى كيف جرى تطبيق إستراتيجية أوباما الكبرى على طول خط الصدع الهشّ في الشرق الأوسط. إحدى الحُجَج الرئيسة للكتاب هي شرحه لحقيقة أنّه في الوقت الذي تعرّض فيه أوباما لانتقادات لاتّباعه "إستراتيجية لا تفعل شيئًا"، فقد اتّبع بالفعل إستراتيجية كبرى تستند إلى حقيقة تخمينية، في هذا السياق، دُمجت الأدوات الدبلوماسية والاقتصادية للولايات المتحدة مع إستراتيجية كبرى موجّهة نحو Retrenchment، ويُقصَد بها التوجّه نحو التخندق والتخفيض/ التقشّف؛ بمعنى تطبيق سياسة انسحابية، وعدم تحمّل المسؤولية، وقد ذكر بعض المؤلفين معنًى، مثل التخلّي عن دور شرطي المنطقة. ووفقًا للمؤلف، كان الهدف الرئيس لإستراتيجية أوباما الكبرى هو حماية الدور العالمي للولايات المتحدة، تمامًا كما فعلت الإستراتيجيات الكبرى السابقة التي فضّلها رؤساء الولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب الباردة.

يتكون الكتاب من ثلاثة فصول؛ في الفصل الأول يبحث أوزدمير مفهوم الإستراتيجية الكبرى بعمق ويؤطّر المفهوم الذي تميز ببعض الغموض في الأدب. وينّص أوزدمير على أن مفهوم الإستراتيجية يمكن العثور عليه في كتب اليونان القديمة؛ وبسبب أوجه القصور في مفهوم الإستراتيجية تحتاج الأدبيات إلى مفهوم مثل الإستراتيجية الكبرى. وقد كشفت حقيقة أن مفهوم الإستراتيجية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأنشطة العسكرية والحرب- عن ضرورة تعريف الأنشطة غير العسكرية، مثل الأدوات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والدبلوماسية المستخدمة ضد العدو. ينبع هذا الموقف من حقيقة أن المصدر الوحيد لسلطة الدول حتى القرن التاسع عشر كان القوة العسكرية؛ في الفترة التالية كانت الدول بحاجة إلى قوة دبلوماسية واقتصادية واجتماعية، وقد اقتضى مثل هذا التغيير في الظروف الدولية منظورا جديدًا. ومن ثَمّ كان مفهوم الإستراتيجية الكبرى في الوقت الحاضر يحاول تلبية مثل هذه الضرورة. إضافة إلى تحديد الاختلاف عن الإستراتيجية يحلل أوزدمير أيضًا الجوانب المختلفة للإستراتيجية الكبرى من حيث السياسة الخارجية، حيث قال أوزديمير في هذه

Doi: 10.36360/1560-008-003-012

المرحلة: إنّ الإستراتيجية الكبرى بمثابة خريطة لكيفية استخدام أدوات السياسة الخارجية.

يوضّح الفصل الثاني العملية التي أعدّت إستراتيجية أوباما الكبرى والأسباب التي جرى اختيار هذه الإستراتيجية الكبرى لأجلها. باعتباره من أهم نقاط الكتاب، يذهب المؤلف إلى أصول الظروف التي شكلت تفضيل أوباما، ويذكر أوزدمير أنّه في فترة ما بعد الحرب الباردة، التي كانت فيها واشنطن هي القوة الوحيدة المهيمنة كانت الأفضلية والأمن التعاوني مفضلَيْن معًا بوصفهما إستراتيجية كبرى. ومع ذلك، نَظرًا لحقيقة أنه لا يمكن القضاء على التهديدات ضد النظام خلال فترة جورج دبليو بوش، فإن هذا الشكل من الإستراتيجية الكبرى لم يدم على المدى الطويل. وتُعدّ حجة أوزدمير الأساسية في هذا الجزء من الكتاب هي أن جوهر التراث الباقي الذي ورثه أوباما يمكن العثور عليه في الآثار التي تركها كلينتون وبوش في النظام الدولي. لذلك، يؤكد المؤلف أنّ القرارات المتخذة والتطورات خلال شروط الرئيسين تلقي الضوء على الإستراتيجية الكبرى المفضلة خلال فترة أوباما.

يؤكد المؤلف بإصرار أنّ الأزمة الدولية التي تسببت فيها: إستراتيجية بوش الكبرى، والحربان في أفغانستان والعراق، والأزمة الاقتصادية التي حدثت عام 2008 نتيجة لهذه الحروب- تركت لأوباما للتعامل معها. في عهد أوباما، قرّرت واشنطن أن الموارد المخطّطة للنفقات العسكرية ستُستخدَم بشكل أفضل في حلّ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في السياسة الداخلية. وتسببت المشكلات الاقتصادية الناجمة عن الحربين والمشكلات الاجتماعية الناجمة عن الأزمة الاقتصادية في إعطاء أوباما الأولوية للقضايا السياسية الداخلية. ويزعم أوزدمير أن أوباما هدف إلى الاستخدام الذكي للقوة العسكرية. وفقًا لأوزدمير كان السبب في تبني أوباما لإستراتيجية كبرى منفصلة عن كلينتون وبوش هو سعيه إلى تجنب العمليات العسكرية الطويلة الأجل والخارجية التي كانت تشكّل عبئًا خطيرًا على الاقتصاد. ومع ذلك، يذكر أوزدمير أنّ هذا التجنّب لم يغيّر أبدًا الأهداف العالمية للولايات المتحدة، بل قام بتغيير إستراتيجيته الكبرى للحفاظ على ريادته العالمية. يختتم المؤلف الفصل من خلال تأكيد حقيقة أنّ أوباما أبقى دائمًا على موقعه العسكري على استعداد للتدخل في جميع المناطق حتى لا يسمح لأيّ قوة في شمال شرق آسيا أو أوروبا أو الشرق الأوسط بأن تصبح هيمنة إقليمية.

يغطّي الفصل الأخير كيفية ترك إستراتيجية أوباما الكبرى أثرها في منطقة الشرق الأوسط في إطار الثورات العربية والمفاوضات النووية، وكذلك في حالتي أفغانستان والعراق، ويستكشف أوزدمير أيضًا كيفية تأثّر المسألة الإسرائيلية، وهي مشكلة مزمنة في المنطقة، بإستراتيجية أوباما الكبرى، ويشرح كيف أثّرت حرب بوش على الإرهاب في الإستراتيجية الكبرى. على الرغم من أن كل قضية من هذه القضايا التي تركت بصماتها على مدى السنوات العشرين الماضية في الشرق الأوسط- تحتوي على العديد من الديناميات المختلفة، إلا أن إستراتيجية واشنطن الكبرى للتخفيض في جوهرها واحدة، وهي: تجنّب العمليات العسكرية التي من شأنها أن تحمّل واشنطن تكلفة اقتصادية جديدة. لهذا الغرض، تهدف واشنطن إلى التقليل إلى أدنى حدّ من تكلفة العمليات العسكرية من

خلال إجراء عمليات موضعية بطائرات بدون طيار والقوات الجوية، أو عن طريق تحويل التكلفة إلى الجهات الفاعلة الإقليمية والعالمية.

تميز الكتاب بإيلاء الاهتمام بتصنيف المصطلحات والتركيز على حالات مختلفة، وعدم تجاهل الأطر النظرية. وفقًا لأوزدمير، فقد أعاقت الشكوك السياسية المحتملة التي يمكن أن تظهر بعد إزالة الحكومات القمعية خلال الثورات العربية، وتكاليفها ومخاطرها المحتملة- واشنطن عن السعي إلى مغامرة جديدة. كما أن استراتيجية أوباما الكبرى للتخفيض خطّطت لتحميل تكلفة الحرب على الإرهاب على حلفاء الولايات المتحدة الإقليميين، ومن المفارقات أن منظّمات إرهابية أصبحت من ضمن الحلفاء الإقليميين.

كانت سياسة أوباما في الشرق الأوسط، التي كانت خطوطها الواقعية واضحة للغاية- تعارض حلًّا من شأنه أن يدفع الولايات المتحدة إلى الخروج من المعادلة، ويلتزم بتقليل التكلفة إلى حدّها الأدنى. خلاصة القول: على الرغم من أن تكلفة الإستراتيجية الكبرى للتخفيض التي تتصور استمرار الأزمات كانت على "المستوى الأدنى" بالنسبة للولايات المتحدة- فإن التكلفة التي تكبدها الشرق الأوسط كانت ضياع الثقة في الديمقراطية لفترة طويلة، وانقلابًا في مصر، وحربًا أهلية طويلة الأمد في ليبيا واليمن وسوريا، وجغرافيا لا تزال في قبضة الحرب الأهلية والمنظمات الإرهابية.

ومن النقاط المهمة الأخرى هي أن الكتاب ينظر أيضًا إلى عواقب الإستراتيجية الكبرى؛ إذ أدّت الإستراتيجية الكبرى التي تتصور استمرار الأزمات إلى عزل الولايات المتحدة عن حليف إستراتيجي مثل تركيا، وشجّعت الأنظمة القمعية، وأدّت إلى تحالفات أمريكية مع منظمات إرهابية مثل PKK / PYD. وقد أدّى ذلك إلى التشكيك الجاد في الخط الليبرالي والديمقراطي والمثالي للولايات المتحدة من قبل المجتمع الدولي. لقد قوّضت النظرة الواقعية إلى الإستراتيجية الكبرى المبادئ المثالية، مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية، ومحاربة الإرهاب، وأحدثت الكثير من التناقضات.

ووفقًا للكاتب فقد ترك أوباما الشرق الأوسط يزداد فيه انتشار الفوضى. وفي الوقت الذي ظلت فيه الحروب تراثًا من بوش إلى أوباما فإنّه لا تزال الحروب الأهلية تنتقل من أوباما إلى ترامب. بمعنى آخر، تعمقت الأزمات المستمرة التي بدأت في عهد بوش خلال فترة أوباما، وورثها ترامب لاحقًا.

في الختام، يُعَدّ كتاب أوزديمير إسهامًا كبير في الأدبيات التي تتناول السياسة الخارجية الأمريكية لعصر أوباما على أساس إستراتيجية كبرى. وهكذا، فإن المؤلف جعل قرارات السياسة الخارجية المعقدة والمتناقضة على ما يبدو مفهومة. وكما ورد في الكتاب، فإن جميع الرؤساء لديهم أهداف متشابهة في جوهرها، على الرغم من أن أساليبهم قد تختلف.